وقالوا لولا اي هلا نزل اي من المنزل الذي ذكره محمد صلى الله عليه وسلم
وعنوا مرادهم ونفوا اللبس فقالوا هذا القران اي الذي جا به محمد
صلى الله عليه وسلم وادعى انه جامع لكل خير على رجل من القريتين اي
مكة والطايف عظيم لانهم قالوا منصب الرسالة منصب شريف
فلا يليق الا برجل شريف وصدقوا في ذلك الا انهم ضموا اليه مقدمة
فاسدة وهي ان الرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال
والجاه ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس كذلك فلا تليق رسالة الله تعالى
به وانما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال يعنون الوليد بن
المغيرة بمكة ومن الطايف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي تنبيه
قوله تعالى من القريتين فيه حذف مضاف فقدره بعضهم من رجلي القريتين
فتسب الى كليهما ثم رد الله تعالى عليهم بقولهم اعتراضهم منكرا له
عليهم موبخا لهم بما معناه انه ليس الامر مردودا ولا موقوفا عليهم
بل الى الله تعالى وحده والله اعلم حيث يجعل رسالته بقوله تعالى اهم
اي هولاء الجهلة العجزة يقسمون اي على التجدد والاستمرار رحمة
ربك اي اكرام المحسن اليك وانعامه وتشريفه بانواع اللطف
والبر واعظامه بما رباك له من تخصيصك بالارسال اليهم لانقاذهم
من الضلال وجعلك وانت افضل العالمين الرسول اليهم فيفضلوا
بفضيلتك مع انك اشرفهم نسبا وافضلهم حسبا واشرفهم
عقلا واصفاهم لبا وارحمهم قلبا ليتصرفوا في تلك الرحمة التي هي روح
الوجود وسر الامر بحسب شهواتهم وهم لا يقدرون على التصرف في
المتاع الزايل بمثل ذلك كما قال تعالى نحن قسمنا بما لنا من
العظمة بينهم اي في الامر الذي يعمهم ويجب تخصيص كل منهم
بما لديه معيشتهم التي يعيشون بها رحمة ويقصرون عليها النعمة
في الحياة الدنيا التي هي دني الاشيا عندنا واشار بتانيثها الى انها
حياة ناقصة لا يرضاها عاقل واما الاخرة فعبر عنها بالحيوان لانا لو
قسمناها اليهم لتغالبوا على ذلك فلم يبق منهم احد فكيف يدخل في الوهم
ان نجعل اليهم شيا من الكلام في امر النبوة التي هي روح الوجود وبها
سعادة الدارين ورفعنا بما لنا من نفوذ الامر بعضهم وان كان
ضعيف البدن قليل العقل فوق بعض وان كان قويا عزيز العقل
درجات في الجاه والمال ونفوذ الامر وعظم القدر لينتظم حال الوجود
فانه لا بد في انتظامه من تشارك الموجودين وتفاوتهم فتفاوتنا
بينهم في الجثث والقوى والهمم ليقتسموا الصنايع والمعارف ويكون كل
ميسرا لما خلق وجا علا لما هي له لتعاطيه فلم يقدر احد من دني او غني

وعروة بن مسعود بالطايف قاله قتادة وقال مجاهد عتبة ابن ربيعة من مكة وعبد يا ليل الثقفي من الطايف وعن ابن عباس هو الوليد بن المغيرة من مكة
صح

ان يعدو

ان يعدو قدره ويرتقي فوق منزلته ثم علل ذلك بما يتم به عمارة الارض بقوله تعالى
ليتخذ اي بغاية جهده بعضهم بعضا سخريا اي ليستخدم بعضهم
بعضا فيسخر الاغنيا باموالهم الاجرا الفقرا بالعمل بعضهم بعضا بسبب
المعاش هذا بماله وهذا باعماله فيلتيم قوام العالم لان المقادير لو تساوت
لتعطلت المعايش فلم يقدر احد منهم ان ينفك عما جعلناه اليه من هذا
الامر الدني فكيف يطمعون في الاعتراض في امر النبوة ا يتصور عاقل ان يتولى
قسم الناظر قص ونكل العالي الى غيرنا قال ابن الجوزي فاذا كانت
الارزاق بقدر الله تعالى لا بحول المحتال وهي دون النبوة فكيف تكون
النبوة انتهى وهذا هو المراد بقوله تعالى صارفا القول من مظهر العظمة
الى الوصف بالاحسان اظهارا لشرف النبي صلى الله عليه وسلم ورحمة
ربك اي المربي لك والمدبر لامرك بارسالك وانارة الوجود برسالتك
التي هي لعظمها جديرة بان تضاف اليه ولا يسمى غيرها رحمة خير مما
يجمعون من حطام الدنيا الفاني فانه وان تاتي فيه خير في استعماله في
وجوه البر بشروطه فهو بالنسبة الى النبوة وما قاربها مما قاربها من
الاعراض عن الدنيا متلاش وقيل المراد بالرحمة الجنة وجرى عليه البغوي
وتبعه الجلال المحلي وابن عادل وجرى على الاول البيضاوي وتبعه البقاعي
وهو الظاهر من الاية الكريمة فايدة اتفق القرا هنا على قراة سخريا
بضم السين ثم بين تعالى حقارة الدنيا وخستها التي يفتخرون بها بقوله
تعالى ولولا ان يكون الناس اي اهل التمتع بالاموال لما فيهم من الانظار
والانس بانفسهم امة واحدة اي في الضلال بالكفر لاعتقادهم ان
اعطانا المال دليل على محبتنا لمن اعطيناه لحبهم الدنيا وجعلها محط
انظارهم وهمهم الا من عصمهم الله تعالى لجعلنا اي في كل زمان وكل
مكان بما لنا من العظمة التي لا يقدر احد على معارضتها لحقارة الدنيا
عندنا وبغضنا اليها لمن يكفر بالرحمن وقوله تعالى اي العام الرحمة
دليل على حقارة الدنيا من جهة اعطايها الابعد الممقوت وعلى ان صفة
الرحمة مقتضية لتنامي بسط النعم على الكافر لولا العلة التي ذكرها
الله تعالى من الرفق بالمومنين وقوله تعالى لبيوتهم بدل من
لمن بدل اشتمال باعادة العامل واللامان للاختصاص سقفا
من فضة قال البقاعي كانه خصها اي الفضة لافادتها النور وقراه
ابو عمرو وورش وحفص بضم البا الموحدة والباقون بكسرها وقرا ابن
كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف على ارادة الجنس
والباقون بضمهما جمعا وقوله تعالى ومعارج جمع معرج وهو السلم
اي من فضة ايضا وسميت للصاعد من الدرج معارج لان الماشي عليها

لديك
عجب
ب

Copyright © King Saud University